

سيمائية التوديع في أدب الفراق عند ابن زيدون

The semiotics of farewell in the literature of separation according to Ibn Zaydun

إعداد الباحثة/ نهلة عبد المعين الصيفي

ماجستير الأدب والبلاغة والنقد، كلية الآداب والفنون، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية

Email: nahlh.1470@gmail.com

المخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى مقارنة أدب التوديع والفراق عند ابن زيدون من عدة جوانب أهمها: التعرف على سيميائية التوديع في أدب الفراق عند ابن زيدون، الكشف عن مظاهر جمالية فنية تبرزها سيميائية في أدب الفراق في العصر الأندلسي، ندرة الاهتمام الأدبي بهذا اللون سيميائية التوديع في أدب الفراق عند ابن فريرة فريدون، الاهتمام بأدب الأندلسي من جانب السيميائي.

حيث يكتسب هذا الموضوع أهميته في كونه يبحث في النفس الإنسانية المرتبطة بالإنسان مما دعاني إلى البحث في سيميائية التوديع في أدب الفراق عند ابن زيدون، واقتصرت على مشهد الفراق والوداع الذي عاشه ابن زيدون. تعتمد الدراسة على المنهج السيميائي المهتم بدراسة العلامات والسلوك الخاص وربما كان الناقد الإيطالي (إمبرتو إيكوا) أكثر توسعاً في تعريفه الموجز حينما عرفها بأنها (كل ما يمكن اعتباره إشارة). تم تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول وفي كل فصل مبحثين، وجاء في الفصل الأول: السيميائيات في شعر ابن زيدون، وفي الفصل الثاني يتحدث عن سيميائية الفراق في شعر ابن زيدون، والفصل الثالث سيميائية التوديع في شعر ابن زيدون.

وقد وصلت الدراسة إلى أهم النتائج التالية: أن الجمال لا بد أن يبتق في صورة حسية، هي تلك الصورة التي تمثل حلم الشاعر تمثيلاً حسيماً، حتى تصبح الصورة تجسماً لتطور حالته المعنوية عند نقطة من نقاط الانفعال النفسي الشديد، أن ابن زيدون مر بثلاث تجارب في حياته كان لها أثر عميق فيما تناوله شعره من أغراض، فكانت هذه التجارب يبايع لكل الموضوعات التي عبر عنها، تعد الاستعارة من أقوى مشكلات الصورة. وتوصي الدراسة بالإلمام التام والوافي في جميع أغراض شعر ابن زيدون وما فيها من جمالية الأداء وروعة الأسلوب، كما أوصي بالبحث في الصور العروضية في شعر ابن زيدون.

الكلمات المفتاحية: سيميائية، أدب الفراق، سيميائية التوديع، ابن زيدون، الأدب الأندلسي

The semiotics of farewell in the literature of separation according to Ibn Zaydun

Abstract:

This study aims to approach Ibn Zaydun's farewell and parting literature from several aspects, the most important of which are: identifying the semiotics of farewell in Ibn Zaydun's literature of parting, revealing artistic aesthetic aspects highlighted by semiotics in the literature of parting in the Andalusian era, the scarcity of literary interest in this color and the semiotics of farewell in literature Parting according to Ibn Furura Faridoun, the interest in Andalusian literature on the part of the semiotic.

Where this topic acquires its importance in that it researches the human soul associated with man, which prompted me to research the semiotics of farewell in Ibn Zaydun's literature of parting, and was limited to the scene of parting and farewell that Ibn Zaydun lived. The study relies on the semiotic approach concerned with the study of signs and special behavior. Perhaps the Italian critic (Umberto Eco) was more extensive in his brief definition when he defined it as (everything that can be considered a sign). The research was divided into three chapters and in each chapter two chapters, and came in the first chapter: semiotics in the poetry of Ibn Zaydun, and in the second chapter talks about the semiotics of separation in the poetry of Ibn Zaydun, and the third chapter: the semiotics of farewell in the poetry of Ibn Zaydun.

The study reached the following most important results: that beauty must emerge in a sensory image, which is the image that represents the poet's dream sensually, so that the image becomes an embodiment of the development of his moral condition at a point of intense psychological emotion, that Ibn Zaydun went through three experiences in his life It had a profound impact on the purposes of his poetry. These experiences were sources of all the topics he expressed. Metaphor is one of the most powerful problems of the image. The study recommends full and adequate knowledge of all the purposes of Ibn Zaydun's poetry and the beauty of performance and splendor of style.

Keywords: semiotics, parting literature, farewell semiotics, Ibn Zaydoun, Andalusian literature

1. المقدمة:

كشف اللثام عن جوانب مهمة في شعر "ابن زيدون" لا تزال بحاجة إلى مزيد من التأمل، وخص منها الصور والأغراض الشعرية، وبلاغة الصور البيانية في الرسم البياني في ديوان ابن زيدون، واتبعت المنهج السيميائي، والذي يقوم بالدراسة على المواد العلمية من مصادرها وعرضها وإشاراتها، مع تمحيص النصوص وتوثيقها من مصادرها الأولى بغية الحصول على بعض مواضع السيميائيات في شعر ابن زيدون وأغراض الشعر ودلالاتها في ديوان ابن زيدون؛ لتوضيح ما يتصف به شعر "ابن زيدون"، الذي يحمل جانبا من تراث الشعر الأندلسي.

1.1. أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

يكتسب هذا الموضوع أهميته في كونه يبحث في النفس الإنسانية المرتبطة بالإنسان مما دعاني إلى البحث في سيميائية التوديع في أدب الفراق عند ابن زيدون، واقتصر على مشهد الفراق والوداع الذي عاشه ابن زيدون.

2.1. أهداف الموضوع:

ترمي هذه الدراسة إلى مقارنة أدب التوديع والفراق عند ابن زيدون من عدة جوانب:

- 1- التعرف على سيميائية التوديع في أدب الفراق عند ابن زيدون.
- 2- الكشف عن مظاهر جمالية فنية تبرزها سيميائية في أدب الفراق في العصر الأندلسي.
- 3- ندرة الاهتمام الأدبي بهذا اللون سيميائية التوديع في أدب الفراق عند ابن زيدون.
- 4- الاهتمام بأدب الأندلسي من جانب السيميائي.

3.1. منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج السيميائي المهتم بدراسة العلامات والسلوك الخاص وربما كان الناقد الإيطالي (إمبرتو إيكوا) أكثر توسعاً في تعريفه الموجز حينما عرفها بأنها (كل ما يمكن اعتباره إشارة).

4.1. تبويب البحث:

يقوم هذا البحث على مقدمة توضح أهميته الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ودراساته السابقة ومنهجه وتبويبه، ثم تمهيد فيه مدخلان مدخل ابن زيدون وأدبه ومدخل في مفهوم سيميائية التوديع في أدب الفراق ويشتمل على ثلاثة فصول وكل فصل يحتوي على مبحثين.

- **الفصل الأول: السيميائيات في شعر ابن زيدون، ويحتوي على مبحثين:**
 - المبحث الأول: الحركات في شعر ابن زيدون.
 - المبحث الثاني: الألوان في شعر ابن زيدون.
- **الفصل الثاني: يتحدث عن سيميائية الفراق في شعر ابن زيدون، ويحتوي على مبحثين:**
 - المبحث الأول: الرحيل والتنقل في شعر ابن زيدون،
 - والمبحث الثاني: الموت في شعر ابن زيدون.
- **الفصل الثالث: سيميائية التوديع في شعر ابن زيدون، على مبحثين:**

○ المبحث الأول: لتوديع الصريح في شعر ابن زيدون.

○ المبحث الثاني: التوديع الضمني في شعر ابن زيدون.

■ ثم خاتمة البحث وقائمة بالمصادر والمراجع.

5.1. الدراسة السابقة:

لم أجد من تعرض لدراسة سيميائية التوديع في أدب الفراق عند ابن زيدون أو لفت الانتباه لها إما كان من إشارات لدى البعض وهم - وإن كانوا قلة - إلا أنهم ألمحوا إلى ظهور ما يشبه وهي سيميائية الجسد في الشعر الجاهلي.

تمهيد:

مفهوم السيميائية:

إن مجال السيميائية مجال واسع جداً، ولا نملك أي معالجة له يمكن أن تكون شاملة، ومن الممكن أن يساء فهم محاولتي في عرض بعض مفاهيمه الأساسية بشكل مترابط⁽¹⁾.

الهدف من دراسة السيميائية:

هو تقديم ما يحتاجه القراء الساعون إلى استعمال السيميائية في معالجة النصوص، والتعمق في بعض المسائل الفلسفية المشوقة التي يثيرها السيميائيون⁽²⁾.

لماذا ندرس السيميائية؟

قد تساعد السيميائية الدور الوسيط الذي تقوم به الإشارات، والدوال التي تقوم بها، ونحن والآخرين في تشييد الواقع الاجتماعي⁽³⁾.

وقد يقودنا تفحص منظورات السيميائية إلى الإدراك أن المعلومات أو المعاني لا يحتويها العالم أو الكتب أو الحواسيب أو وسائل الاتصال السمعية والبصرية⁽⁴⁾.

ونتعلم من السيميائية أننا نعيش في عالم من الإشارات، وأنه لا يمكننا فهم أي شيء إلا بوساطة الإشارات والتشفيرات التي تنظمها⁽⁵⁾.

قال أحد النقاد بعبارة لا تخلو من البراعة "تخبرنا السيميائية عن أشياء نعرفها لكن بلغة لن نفهمها أبداً"⁽⁶⁾.

فالسيميائية ودراسة الإشارات وتوسع معناها عند أمبرتو إيكو: تعني السيميائية كل ما ينبو عن شيء آخر⁽¹⁾.

(1) أسس السيميائية للمؤلف دانيال تشاندلر، ترجم، د. طلال وهبة، مراجعة د. ميشال ذكريا، ص: ١، بيروت، ص: ٢٢.

(2) المرجع السابق، ص: 23.

(3) المرجع السابق، ص: 42.

(4) المرجع السابق، ص: 43.

(5) المرجع السابق، ص: 43.

(6) المرجع السابق، ص: 42.

إن مصدر السيميائية وجد عن التقليدين الأساسيين في السيميائية وهم: السويسري فرديناند دوسوسور، الذي يسميها السيميولوجيا، وهي علم يدرس دور الإشارات كجزء من الحياة الاجتماعية. أما بنسبة إلى الأمريكي تشارلز ساندرز بيرس فيسميها السيميائية، وهي الدستور الشكلي للإشارات، مما يقربها من المنطق⁽²⁾.
وتعلن جوليا كريستيفا أن السيميائية القانون الذي يحكم، وربما لنا أن نقول:
"الفيد الأساسي الذي يؤثر في أي ممارسة اجتماعية يمكن أن يحمل دلالة، أي أنه يتم فصل كلغة"⁽³⁾.
يحاول دوسوسور أن يبرهن أن: "لا شيء أفضل من دراسة اللغات لإظهار طبيعة المسألة السيميولوجية. وكثيراً تلجأ السيميائية إلى المفاهيم الألسنية، وذلك لأن الألسنة فرع أكثر رسوخاً من الأنواع الأخرى التي تدرس منظومات الإشارة"⁽⁴⁾.
يقول إيكو: "لا نتعرف على أنفسنا إلا باعتبارنا سيميائية في حركة وأنظمة من مدلولات وعمليات تواصل"⁽⁵⁾.
بمعنى أن خارطة السيميائية وحدها هي التي تقول لنا من نكون وكيف نفكر⁽⁶⁾.

مفهوم الفراق في أدب الفراق:

قبل الحديث عن الفراق لا بد من ذكر مفهوم الفراق، فالفراق هو جملة ما يمر به الإنسان من أحداث، وهو حقيقة لا تتغير، إذ إن دوام الحال من المحال، وما على المفارق إلا الصبر، رغم لحظات الضعف التي تلاحقنا من حين إلى حين، وقد مرت ملامح الفراق واضحة على الشاعر الأندلسي ابن زيدون، وإذا أردنا أن نصور هذه الحياة المنفصلة التي عاشها كان علينا أن نذكر بعض من نماذج ابن زيدون الذي يرسم لنا الهوى في عمق وعذاب وحرقة، فاستطاع أن يدغدغنا في لحن من المناجاة والذكرى، تاركاً في نفوسنا أصداء مرتجفة مبهمة.

وقد نظم الشاعر هذه القصيدة بعد أن هجرته حبيبته، وفيها يتلطف لو تعود إلى الوصل:

إليك من الأنام غدا ارتياحي... وأنت على الزمان مدى اقتراحي

وأيضاً قوله في قصيدة له وهي من أشهر البكائيات في الشعر العربي، وفيها يعبر الشاعر عن هذه الحسرة وهذه اللهفة خير تعبير، وفيها يذوب الشاعر ألماً وأسى على فراق ولادة، وحبل الوصال الذي قطع بينه وبينها، يقول الشاعر:

أضحى التنائى بديلاً من تدانينا... وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وهذه القصيدة يذكر فيها أن حصلت جفوة بين الشاعر ابن زيدون وصاحبته، فكتبت إليها:

ألا هل لنا من بعد هذه التفرق... سبيل فيشكو كل صب بما لقي

(1) أسس السيميائية للمؤلف دانيال تشاندلر، ترجمة د. بطلال وهبة، ص 27-28.

(2) المرجع السابق، ص: 30.

(3) المرجع السابق، ص: 33.

(4) المرجع السابق، ص: 34.

(5) السيميائية وفلسفة اللغة لأميرتو إيكو، ترجمة د. أحمد الصمعي، ط1، بيروت، ص: 16.

(6) المرجع السابق، ص: 16.

فأجابها بقوله⁽¹⁾:

لحا الله يوما لست فيه بملتف... محياك من أجل النوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة؟... وأي سرور للكتيب المورق

ويبدو أن هذه الجفوة لم تطل فعاد العاشقان إلى سابق عهدهما يتشاكيان الصباية والهوى، ولكن ولادة لم تلبث أن تتبدل، فتظهر من الجفاء ما تظهر وتذيق صاحبها عذاب الهجر، على حين يبدي لها من التلطف والتذلل ما ينم لنا عن وجدة وحب⁽²⁾.
من هو ابن زيدون:

هو أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي، وهو عربي صريح ينتمي إلى قبيلة مخزوم القرشية، ولد ابن زيدون بمدينة قرطبة سنة 494هـ/1003م⁽³⁾.

وكان أبوه قاضياً في قرطبة، وجيهاً ثرياً غزير العلم والأدب، وتولى ابن زيدون الوزارة لأبي الوليد بن جمهور صاحب قرطبة، وكان سفيراً إلى أمراء الطوائف في الأندلس، ثم اتهمه ابن جمهور بالميل إلى المعتضد ابن عباد صاحب إشبيلية فحبسه.

حاول ابن زيدون استعطاف ابن جمهور برسائله فلم يعطف عليه، وفي عام 441هـ تمكن ابن زيدون من الهرب⁽⁴⁾، ولحق ببلاط المعتضد الذي قربه إليه، فكان بمثابة الوزير. وقد أقام ابن زيدون في إشبيلية حتى توفي ودفن فيها في أول رجب 463هـ⁽⁵⁾.

شغف ابن زيدون بولادة ملبياً بذلك دواعي قلبه، فمن هي هذه المرأة؟ وماهي أطوار هذا الحب الذي فتن قلب الشاعر وجعله ينطق بالشعر الخالد؟⁽⁶⁾

هي ولادة بنت المستكفي بالله، الخليفة الذي جاء قبل المعتمد بالله آخر خلفاء بني أمية في الأندلس، وتوفيت سنة 480 أو سنة 484هـ، وقالوا إنها عمرت طويلاً⁽⁷⁾.
وكان ابن زيدون من الذين يقصدون منتداها الأدبي، وفي هذا المنتدى تمكنت بينهما أوامر الصداقة، ووقع في شرك حبها⁽⁸⁾.

(1) الأدب الأندلسي، د.جودت الركابي، الطبعة الأصلية بالمملكة العربية السعودية، دار المعارف، 1890م، ص: 170، 199، 204.

(2) الأدب الأندلسي دكور جودت الركابي، ص: 17..

(3) المرجع السابق، ص: 163.

(4) الأعلام، تأليف خير الدين الزركلي، الجزء الأول، بيروت، ص: 158.

(5) وفيات الأعيان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، حققه د.إحسان عباس، المجلد الأول، بيروت، 1398هـ/1978م، ص: 140.

(6) الأدب الأندلسي، دكتور: جودت الركابي، ص: 166.

(7) المرجع السابق، ص: 167.

(8) المرجع السابق، ص: 204.

وقد نجد له بعض القصائد الكبيرة، كقصيدته الشهيرة التي أرسلها إليها بعد خروجه من السجن، ويقال إنه بعث بها إليها من إشبيلية ومطلعها:

أضحى التناهي بديلاً من تدانينا... وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ونجد في خصائصه الفنية التي ميزت شعر الشاعر ابن زيدون هي أن هذا الشعر شديد الصلة بحياة الشاعر. فجاء شعره صورة لهذه الحياة التي يتوزعها الحب والسلطان. ويبدو لنا شاعر بلاط من ناحية أخرى⁽¹⁾. ولا شك أن منزلته كما أجمع النقاد في الطبقة الأولى شعراء الأندلس، فقد كان قوي أمر الكلام، جيد التعبير الأدبي، يشتد ويلين في ديباجته الشعرية حسبما يقتضيه القول ويدعو إليه الغرض⁽²⁾. قال ابن بسام في كتابه الذخيرة: كان ابن زيدون غاية منثور وخاتمة شعراء مخزوم⁽³⁾. وقال الأستاذ: كامل الكيلاني في بحث عن حياة ابن زيدون وأدبه نشره في مقدمة الديوان: ميزة ابن زيدون التي تكاد تفرده من شعراء العربية هي الفن، فهو شاعر فني قبل أن يكون فيلسوفاً أو حكيماً أو غواصاً على المعاني أو وصافاً. الفن وحده هو الذي أكتسب ابن زيدون زعامة الشعر في عصره، وأغرى فحول الشعراء في زمنه وبعد زمنه بمحاكاته والانضواء تحت رايته⁽⁴⁾.

الفصل الأول: سيميائيات التوديع في أدب الفراق

إن الصورة الحسية هي المنبع الذي ينطلق منه نهر التصوير الفني، فتمتزج في مجراه عواطف الإنسان بمفردات الحس، ويسقي تجربة القصيدة بالقدرة على إحداث الدهشة لدى المتلقي بصورة جمالية محببة، وإن الجمال لا بد له أن ينبثق في صورة حسية، هي تلك الصورة التي تمثل حلم الشاعر تمثيلاً دقيقاً، حتى تصبح الصورة تجسيميا لتطور حالته المعنوية عند نقطة من نقاط الانفعال النفسي الشديد⁽⁵⁾، وإن لكل صورة نمطاً ينظمها وتنطوي تحته، ويمكننا أن نلمس إيثار ابن زيدون لأنماط بعينها استطاع من خلالها أن يحقق التميز للبناء التصويري في شعره، وأن ينقل تجربته كاملة بصدق ووضوح مستعيناً في ذلك بما تملكه حواس الإنسان من قدرة على الاستقبال.

المبحث الأول: الحركات في شعر ابن زيدون

تتمثل في نمط الصور يجعل الحركة أساساً لتشكيل الصورة، بهدف بث الحيوية في النسيج الشعري، والصورة الحركية من خصوصيات الشعر التي يمتاز بها، فإذا كانت عبقرية الشعر تمكن في إبراز الفاعلية والنشاط الحركي الذي ينساب على سلسلة من لحظات متعاقبة⁽⁶⁾.

(1) المرجع السابق. ص: 205.

(2) الأدب الأندلسي، دكتور جودت الركابي، ص: 203.

(3) المرجع السابق، ص: 204.

(4) المرجع السابق، ص: 205.

(5) رؤية جديدة في دراسة الأدب العربي في عصر صدر الإسلام، د. سعيد حسين منصور، مؤسسة العهد الدوحة- قطر، 1981م ص: 39.

(6) فلسفة وفن، د. زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، 1963م، ص: 382.

ويتجلى ذلك في الصورة الحركية وهي من أنماط الصورة التي وردت بكثرة في شعر ابن زيدون،
مثال ذلك في قوله في إحدى قصائده⁽¹⁾:

يذل له الجبار خيفة بأسه... ويعنو إليه الأبلج المتعطف

حذارك إذ تبغي عليه من الردى... ودونك فاستوف المني حين تجدف

ستعتامهم⁽²⁾ في البر والبحر بالتوى... كتائب تزجي أو سفائن تجدف

تطل صورة في البيت الثالث حركية في مجموعها وفي تفاصيلها، فالشاعر يقول للمعتضد: سوف تجتاح أعدائك كتائب جيشك البرية وأساطيلك البحرية، فكأنما تختارهم وتقذفهم بالهلاك.

يبدأ البيت بالفعل (ستعتامهم) أي ستختارهم، والاختيار يتم بإشارة وتوجه ففيه حركة، والأعداء الموجودون في البر متحركون سواء في حركة جيوشهم أو في تحركهم في معسكراتهم، فالبر هنا المحتوي على الأعداء مليء بالحركة، السفائن حين تذكر وحدها لا يستدعي الذهن صورتها إلا وهي تبحر، والفعل (تجدف) في حركة التجديف.

نرى من هنا أن الصورة حركية في مجملها وفي تفصيلاتها مما يدل على براعة الشاعر وصفاء فطرته الشعرية.

ومن الصور الحركية - أيضاً - عند ابن زيدون قوله⁽³⁾:

فدعيه حيث يطول ميدان الصبا... كيما يجربه عنان الخالع⁽⁴⁾

هذه الصورة - أيضاً - حركية إجمالاً وتفصيلاً، فالشاعر يخاطب حبيبته قائلاً: دعيه ينطلق في عواطفه كيفما شاء له الهيام واتسع له المجال كما ينطلق الجواد الذي خلع لجماه وانطلق راکضاً. وإذا توقفنا عند تفاصيل الصورة وما استخدمه فيها الشاعر من لمات سنجد أنه بدأ البيت بالفعل (دعية) أي اتركه، وعملية الترك تشي بالحركة، والفعل المضارع، (يطول) يدل على مكان تملأه حركة الموجودين فيه خاصة إذا كان ميدان (الصبا) بما فيه انفعالات تولد حركة دائمة وطاقة متفجرة، والفعل (يجر) يدل - أيضاً - على الحركة، أما (العنان) فهو اللجام، وهناك كلمات لا نتصورها مفردة حيث تذكر، فحين يذكر اللجام - على سبيل المثال - لا يستحضره وهو مثبت في فم الفرس وممسك باليدين، ويكون اللجام في حركة دائمة سواء كان الفرس راکضاً أو سائراً، أو حتى واقفاً، لأن الفرس يحرك رأسه - في العادة - حتى وهو واقف بسبب ضيقة من وجود اللجام في فمه، ومن هنا يكون اللجام دالاً على الحركة، أما الخلع فهو لفظ يدل على حركة في حد ذاته، فالصورة دالة على الحركة في مجملها وفي تفاصيلها.

ويقول ابن زيدون في قصيدة أخرى⁽⁵⁾:

(1) الديوان، ص: 387.

(2) ستعتامهم: تختارهم، انظر لسان العرب، ج4، ص: 3195.

(3) الديوان، ص: 399.

(4) استعمل ابن زيدون هذه القصيدة بقوله:

ما طول كذلك للمحب بنافع.. وهل الفؤاد ليس فيه يراجع.

(5) الديوان، ص: 245.

وليل أدمنا فيه شرب مدامة... إلى أن بدا للصبح في الليل تاشير⁽¹⁾

وجاءت نجوم الصبح تضرب في الدجى... فولت نجوم الليل والليل مقهور

تشمل هذه الصورة على مساحتين زمنييتين هما الليل والصبح، ونحن نعلم أن الحياة تستيقظ في الصباح، فتموج الدنيا بالحركة والحيوية، وبالرغم من أن الليل زمن يدل على السكون إلا أن الشاعر جعله مفعماً بالحركة لأنه أدام شرب الخمر فيه مع أصحابه، وأدت استمرارية شرب الخمر إلى وجود حركة دائمة متمثلة في صب الخمر وفي مناولة الكؤوس وفي حركة الشرب ذاتها.

ووجدنا صورة حركية جميلة حين قارب الليل على الانتهاء فقد جاءت نجوم الصبح فإذا بها تضرب في الدجى، وحينذاك ولت نجوم الليل، فإذا بالليل مقهور يسحب أذياله من الدنيا ليفسح المجال للنهار.

واستخدام ابن زيدون الصور الحركية دل على قدرة الخيال لديه على ابتداع حركة تصويرية مؤثرة ساهمت في منح شعره مساحة عريضة من الإبداع والتجديد.

المبحث الثاني: الألوان في شعر ابن زيدون

كان للألوان دورها المؤثر في الشعر منذ بداياته، حيث تحتفي أعمال هوميروس باللون، فنجده يستخدم الألوان بدلالات عميقة وصور فنية مؤثرة، فهو يقول الأصابع الوردية⁽²⁾ - على سبيل المثال - حين يريد الدلالة على جمال المرأة، وقد استخدم ابن زيدون الألوان في بناء صورته، وأقام بعضها على علاقة تضاد لوني كقوله⁽³⁾:

حالت لفقكم أيامنا فغدت... سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

إذ جانب العيش طلق من تألفنا... ومربع اللهب صاف من تصافينا

استخدم الشاعر الألوان بما تدل عليه من معادن واسعة اللون، فقال إن أيامه قد تغيرت حين فقد حبيبته ولادة... فأصبحت أيامه سوداء اللون، أي مألها ظلام الليل بسواده، وملأته غيوم الهموم والأحزان بما فيها من سواد لا إشراق فيه، وبذلك استخدم اللون الأسود بكل ما يحمله من معان ودلالات، واستفاد في نفس الوقت من اللون المقابل وهو اللون الأبيض، ليقول إن لياليه كانت ذات لون أبيض حين كانت حبيبته معه، يضيئها وجهها المشرق من ناحية، وتضيئها الأفراح من ناحية أخرى، حيث تتألق الليالي بالمحبة والسرور، حيث سعدت القلوب بالتألف والتصافي.

ويقول في قصيدة أخرى⁽⁴⁾:

ملك له منا النصيحة والهوى... ومنه الأيادي البيض والنعم الخضر

استخدم الشاعر اللون الأبيض الأيادي الملك، فدلل بذلك على كرمه ومعروفه وفضله، بينما جعل اللون الأخضر، حيث هو لون النماء، يدل على الخير والحيوية التي تربو وتزيد،

(1) التاشير: التحزيز في الأسنان وحدة أطرافها، لسان العرب، ت ج 1، ص: 85.

(2) وقعت روز، ذات الأصابع الوردية، في حب أوريون، ص: 91.

(3) الديوان، ص: 143.

(4) الديوان، ص: 526.

فنجح الشاعر في استخدام اللون من خلال صورة فنية أعطت المعنى أبعاداً فيها رونق وجمال.

ويقول ابن زيدون أيضاً مستخدماً الألوان في الصورة⁽¹⁾:

أيتها النفس إليه أذهبي... فما لقلبي عنه من مذهب
مفضض الثغر له نقطة... من عنبر في خده المذهب

تعتمد هذه الصورة على الألوان، فقد وصف الشاعر من يحبه فأخبرنا أن ثغره في لون الفضة كي يدل على بريق أسنانه وجمالها، وأخبرنا أن له خالاً على خده، ووصف ذلك الحال بأنه نقطة، لكنه لم يشأ أن يذكر السواد في صورة الحبيب فهو مذهب لامع مثل الذهب، جميل الشكل ثمين. والأمثلة كثيرة على استخدام ابن زيدون للألوان، مستفيداً من دلالاتها لإثراء المعاني المنشودة ومكونات الصورة المرسومة.

الفصل الثاني: سيميائية الفراق في شعر ابن زيدون

المبحث الأول: الرحيل والتنقل

مر ابن زيدون في حياته بثلاث تجارب كان لها أثر عميق فيما تناوله شعره من أغراض، فكانت هذه التجارب ينابيع لكل الموضوعات التي عبر عنها. التجربة الأولى هي عشقه ولادة بنت المستكفي، فإن العلاقة التي أججت لهيب الحب في قلبيهما كان لها أثر ممتد في أشعاره، وكانت نبعاً لما تناولته غزلياته من حالات العشق المختلفة التي تتفرع إلى تشوق وفرحة باللقاء وحنين وفراق وهجر، وغير ذلك. أما التجربة الثانية فهي تعرضه للحبس في عهد أبي الحزم بن جهور، إذ كانت معاناته في السجن نبعا لكثير من أشعار العتاب والاستعطاف. والتجربة الثالثة هي قربته من الحكام وموقعه في الدولة بصفته وزيراً وسفيراً، فقد كانت هذه المكانة نبعا لأشعار المديح التي وجهها إلى أولي الأمر الذين آمنوا بقدراته ومنحوه ما يستحق من تقدير وكذلك كانت نبعاً، أطلقه من قصائد الهجاء لأعدائه وحاسديه، وكانت مصدراً لإخروانياته ومداعباته، وأيضاً لما كتبه من بعض قصائد الوصف.

المبحث الثاني: الموت

توجد في ديوان ابن زيدون قصائد في الرثاء، منها ما هو في الرثاء الخالص، ومنها قصائد مزجها بالمديح. ومن نماذج رثائه قوله في إحدى قصائده متوجهاً بالحديث إلى ابن جهور:

هو الدهر فاصبر للذي أحدث الدهر... فمن شيم الأبرار - في مثلها - الصبر

ستصبر صبر اليأس أو صبر حسبة... فلا ترض بالصبر الذي معه وزر

ثم يرثي والدة ابن جهور، فيقول:

هنيئاً لبطن الأرض أنس مجدد... بثاوية حلته فاستوحش الظهر

بطاهرة الأثواب قانتة الضحى... مسبحة الآناء محرابها الخدر

ويهتم ابن زيدون بترديد معاني الرثاء المألوفة كيبان قدر المتوفاة التي يأنس بها بطن الأرض، بينما يشعر ظهرها بالوحشة لفقدانه تلك السيدة الفضلي التي كانت طاهرة دينة عفيفة،

(1) الديوان، ص: 126.

وهو رثاء فيه جمال في اعتمد على المقابلة بين بطن الأرض وظهرها.

الفصل الثالث: سيميائية التوديع في شعر ابن زيدون

المبحث الأول: التوديع الصريح

وهي: "التي يصرح فيها بذات المشبه به (اللفظ المستعار منه) وحذف المشبه، وتبقي صفة من صفاته تدل عليها⁽¹⁾. ومن المواضع التي جاءت فيها الاستعارة التصريحية، قوله مخاطباً أمه وهي تبكي علي فراقه:

أمقتولة الأجنان ما لك والها... ألم ترك الأيام نجم ما هوي قبلي؟

أقلي بكاء، لست أول حرة... طوت بالأسى كشحا على مضض الثكل

وفي أم موسى عبرة أن رمت به... إلى اليم، في التابوت، فاعتبري واسلى⁽²⁾

استهل الشاعر أبياته بصورة معنوية، مناجياً أمه داعياً إياها بالصبر على فراقه، مناشداً لها أن تتأسى بما أصاب غيره من أرزاء، ثم دعاها في البيت الثاني:

بأن تقلل من بكائها، فهي ليست أول أم ضمت جوانحها علي آلام الثكل، ثم دل علي ذلك بأن لها أسوة في أم النبي - موسى - عليه السلام - حينما قذفت به أليم امتثالاً فيء لأمر الله - جل شأنه - والاستفهام للتقرير بمدخول النفي أو الاستفهام للنفي، ونفي النفي إثبات، فينتهي إلى التقرير.

فإذا كان السجن قد باعد بينهما، وغيبها عن عينه، فهي حاضرة في قلبه وعقله، ولكنه حضور حزين، ثم جاءت الاستعارة في قوله (نجما هوي قبلي) حيث شبه نفسه بالنجم في الظهور والمكانة العالية، ثم حذف المشبه، وصرح بلفظ المشبه به علي سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية. ثم جاءت الاستعارة المكنية في قوله (طوت بالأسى) لتصور وتؤكد عظم هذا المصاب علي الأم، حيث جعل الأسى (شيء معنوي) سرا يطوى بين الصدور حذف المشبه به (السر) ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: (طوت) علي سبيل الاستعارة المكنية.

ويقول مستعظفاً الأمير ابن جهور:

حمام شكوى صبحتك، هوادلا... تناديك من أفنان آدابي الهدل

جواد، إذا استن الجياد إلى مدى... تمطر فاستولى علي أمد الخصل

ثوى صافنا في مربط الهون يشتكى... بتصهاله، ما ناله من أذى الشكل⁽³⁾

(1) انظر علوم البلاغة: أحمد المراغي، ص: 275، دار القلم بيروت 1980م.

(2) ديوان ابن زيدون ورسائله ص: 264، تحقيق د. علي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة د.ت، الوله: الحزن أو ذهاب العقل مادة (وله) القاموس المحيط للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، ط ثانية، سنة 1987م.

(3) ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 297، تحقيق د علي عبد العظيم دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الهديل صوت الحمام، الأفنان الهدل: الأغصان المتدللية، استنتت الجياد: أمعنت في الجري في حلبة السباق، المدي: الغاية، تمطر: أسرع، الحصل: بلوغ الهدف، الصافن: القائم علي ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة علي طرف الحافر، الهون: الذل، شكل الدابة: شد قوائمها بالحبل.

والمعنى في البيت الأول: لقد ضج شعري بالشكوى إليك أيها الأمير وأصبحت نادبا كما يندب الحمام، هاتفاً بك من أكلة أدابي، متطلعاً إلى ما أحرزته أنت من مروءة وسماح، فلعلك تعفو وتصفح.

وتكمن الاستعارة التصريحية في قوله: (حمامم شكوى).

حيث شبه ندبه بالشكوى إلي الأمير مراراً وتكراراً بندب الحمام وهديله، وقد حذف المشبه، وهو ندب الشاعر بالشكوى، وذكر المشبه به وهو قوله: (حمامم شكوى) على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، وكذلك الاستعارة التصريحية.

الأصلية في قوله:

(جواد) أي أنا جواد في السرعة وحصول الهدف، حيث حذف المشبه واستعار المشبه به للمشبه علي سبيل الاستعارة التصريحية، وجاءت الاستعارة التصريحية - أيضاً - في قوله: (ثوي صافنا في مربط الهون يشتكى) حينما شبه الشاعر نفسه بالجواد المربوط في مكان ضنك، وقد شددت قوائمه بالأغلال، فشكا بصهيله ما أصابه من وجع وألم (استعارة تصريحية أصلية)، ثم حذف المشبه، واستعار المشبه به للمشبه علي سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

المبحث الثاني: التوديع الضمني

يقول ابن زيدون في وصف نفسه بأنه من العظماء:

لا يهنئ الشامت المرتاح خاطره... أني معنى الأمانى ضائع الخطر

هل الرياح بنجم الأرض عاصفة... أم الكسوف لغير الشمس والقمر؟

إن طال في السجن إبداعي فلا عجب... قد يودع الجفن حد الصارم الذكر⁽¹⁾

وظف الشاعر التشبيه الضمني من خلال الصورة المركبة، فشبه أعداؤه والشامتين فيه، وهم سبب سجنه، بالنجم من النبات، وشبه نفسه بالأشجار الضخمة، التي لا تعصف بها الرياح، لأنها قوية شامخة.

وشبه نفسه - أيضاً - بالسيف الحاد القاطع البتار، الذي يغمد في جفنه، فلا يصدأ أبداً، "تشبيهها ضمناً"، رسم من خلاله صورة رائعة الدقة، فائقة الحسن وصف فيها حاله بأن ما أصابه من كوارث ومصائب، فهي لا تصيب إلا العظماء من الناس. عندما استدل على ذلك بأن الرياح لا تعصف بالنبات الصغير أو العشب الحقيق، إنما تعصف بالأشجار الطويلة الضخمة (يقصد نفسه)، وكذلك "الكسوف، والخسوف" ولا يعتريان النجوم الصغيرة وإنما يعتريان "الشمس والقمر" يقصد (نفسه)، ويشبه نفسه بالسيف القاطع البتار الذي يوضع في غمده حماية له، كل هذا أيضاً ساقه الشاعر في إطار التشبيه الضمني ليدل على أن ما ساقه من تشبيهات غريبة، فهي من الأمور الممكنة التي لا بعد في حصولها، ولا غرابة في وقوعها، إن التشبيه هنا جاء التأكيد معنى الرفعة وعلو الشأن للشاعر، وجعله جلياً واضحاً في ذهن المتلقي، وماثلاً أمام عينيه في صورة تهفو لها الأذهان.

(1) ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 254، 255، تحقيق د علي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الخطر: الإشراف على الهلاك، أو الشرف والمكانة مادة (خطر) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 494. نجم: النجم مالا ساق له من النبات مادة (نجم) القاموس: غمد السيف مادة (جفن) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: ... جفن المحيط، 1499: 1531. الصارم: السيف القاطع مادة (صرم) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص: 1457، الذكر: أبيض الحديد وأجوده، والمراد هنا: الصلب المتين: مادة (ذكر) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص: 508، مؤسسة الرسالة دار الريان للتراث ط ثمانية سنة 1987م.

إلى جانب ذلك استخدامه لمراعاة النظير عندما ناسب بين (الشمس والقمر والنجم)، وكذلك التورية في لفظ (النجم)، مما جعل فاعلية في أدائه الفني تكشف عن أداء شاعر بارع ومتميز.

ويقول في قسوة الدهر عليه:

إن قسا الدهر فللما... من الصخر انبجاس

ولئن أمسيت محبوساً... فلغيث احتباس

يلبد الورد السبنتي... وله بعد افتراس⁽¹⁾

علل الشاعر لقسوة الدهر عليه، بأن هذه القسوة سينجم عنها النعم الكثيرة والوفيرة عليه، كما يتفجر الماء الزلال من الصخر الأصم. وعلل لحبسه ومكثه في السجن، بالغيث الذي قد يحتبس حيناً عن النزول، ثم لا يلبث أن يهطل فيسقي النبات، أو مثل الأسد الجريء، الذي يسكن حيناً مسلماً لبدته للسهم، في حين تلبدته هو أهبة الاستعداد للوثوب على فريسته. من خلال (التشبيه الضمني) لتعميق الإحساس بجوانب الصورة، واقامة البرهان على الحكم المراد إثباته.

الخاتمة:

وفي الختام الحمد لله تعالى أن من علي بإتمام البحث، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، تكون هذا البحث من مقدمة عن سيميائية التوديع في أدب الفراق عند ابن زيدون، والذي تحتوي على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، كما تحتوي على أهداف الموضوع ومنها: التعرف على سيميائية التوديع في أدب الفراق عند ابن زيدون، وأيضاً ذكرت مقدمة الدراسات السابقة، وذكرت في المقدمة منهج الدراسة وهو منهج سيميائي، وذكرت تبويب البحث وهو كالتالي: المقدمة ثم التمهيد ثم قسمت البحث إلى ثلاثة فصول وكل فصل يندرج تحته مبحثين، فالفصل الأول: السيميائيات في شعر ابن زيدون، المبحث الأول: الحركات، المبحث الثاني: الألوان الفصل الثاني: سيميائية الفراق في شعر ابن زيدون، المبحث الأول: الرحيل والتنقل، المبحث الثاني: الموت. الفصل الثالث: سيميائية التوديع في شعر ابن زيدون، المبحث الأول: التوديع الصريح، المبحث الثاني: التوديع الضمني.

وقد وصلت إلى أهم النتائج:

- 1- أن الجمال لا بد أن يبتق في صورة حسية، هي تلك الصورة التي تمثل حلم الشاعر تمثيلاً حسيماً، حتى تصبح الصورة تجسيمياً لتطور حالته المعنوية عند نقطة من نقاط الانفعال النفسي الشديد.
- 2- أن ابن زيدون مر بثلاث تجارب في حياته كان لها أثر عميق فيما تناوله شعره من أغراض، فكانت هذه التجارب ينابيع لكل الموضوعات التي عبر عنها.
- 3- تعد الاستعارة من أقوى مشكلات الصورة.

(1) ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 276، 277، تحقيق د. علي عبد العظيم دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة. انبجاس: انبجس: تفجر، مادة (بجس) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 184، الورد: من أسماء الأسد. مادة (ورد) القاموس المحيط ص: 415، السبنتي: الأسد أو النمر الجريء مادة (سبت) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 195، مؤسسة الرسالة دار الريان للتراث، ط ثانية، سنة 1987م.

أوصي:

- ١- الإمام التام والوافي في جميع أغراض شعر ابن زيدون وما فيها من جمالية الأداء وروعة الأسلوب.
- ٢- كما أوصي بالبحث في الصور العروضية في شعر ابن زيدون.

المصادر

- ١- ديوان ابن زيدون (2005م). دراسة وتهذيب عبد الله سنده، ط1 دار المعرفة، بيروت لبنان.

المراجع:

- 1- خضر، فوزي (2004م). عناصر الأبداع الفني في شعر ابن زيدون.
- 2- الراية، محمد روضان (2000م). أدب الأندلس. ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.
- 3- الجراوي التادلي. أحمد (1991م). مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، حققه الدكتور محمد رضوان الراية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان.
- 4- الأندلسي، عبد ربه (1404هـ). العقد الفريد. ط4، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- 5- القيرواني الأزدي، أبو علي الحسن (1981م). العمده في محاسن الشعر وآدابه. دار الجيل طه.
- 6- الدينوري، أبو محمد بن عبد الله (د.ت). أدب الكاتب.
- 7- البكري، أحمد؛ شهاب الدين النويري، شهاب الدين (1423هـ). نهاية الأرب في بداية الأدب، ط1 دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
- 8- بن عمر البغدادي، عبد القادر (1997م). خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب. مكتبة الخانجي، القاهرة.
- 9- سيميائية وفلسفة اللغة الأمبرتو إيكو (2005م). دار النشر المنظمة العربية للترجمة.
- 10- بنكراد، سعيد (2012م). سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها. دار الحوار للنشر، ط4، سوريا.
- 11- كورتيس، جوزيف (2007م). مدخل إلى سيميائية السردية والخطابية. دار العربية للعلوم.
- 12- دكتور جودت الركابي، جودت (1890م). الأدب الأندلسي. ط8، دار المعارف.
- 13- تشاندلر، دانيال (د.ت). أسس السيميائية. ترجمة د. طلال وهبة، مراجعة د. ميشال زكريا، ط1 بيروت.
- 14- إيكو، أمبرتو (د.ت). السيميائية وفلسفة اللغة. ترجمة د. أحمد الصمعي، ط1، بيروت.
- 15- الزركلي، خير الدين (د.ت). الأعلام. الجزء الأول، بيروت.
- 16- بن خلكان، أبي عباس شمس (1978م). وفيات الأعيان الدين. حققه د. إحسان عباس، المجلد الأول، بيروت.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
66	المقدمة
66	أهمية الموضوع وأسباب اختياره
66	أهداف الموضوع
66	منهج الدراسة
66	تويب البحث
67	الدراسات السابقة
67	تمهيد: مفهوم السيميائية
68	مفهوم الفراق في أدب الفراق
69	من هو ابن زيدون
70	الفصل الأول: السيميائيات في شعر ابن زيدون
70	المبحث الأول: الحركات في شعر ابن زيدون
72	المبحث الثاني: الألوان في شعر ابن زيدون
73	الفصل الثاني: سيميائية الفراق في شعر ابن زيدون
73	المبحث الأول: الرحيل والتنقل
73	المبحث الثاني: الموت
74	الفصل الثالث: سيميائية التوديع في شعر ابن زيدون
74	المبحث الأول: التوديع الصريح
75	المبحث الثاني: التوديع الضمني
76	خاتمه
77	المصادر
77	المراجع
78	فهرس الموضوعات

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v3.35.3